



الأسر الأندلسية في تلمسان: أسرة ابن الصيقل أمودجا.

The Andalusi Family in Tlemcen: The Family of Ibn al-Soqayl as a Case-Study

حفيظة بن داود (*)

جامعة تلمسان

Hafida.bendaoud92@gmail.com

د. قدور وهرانى

جامعة تلمسان

histoire_maghreb@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2019/03/05

تاريخ الإيداع: 2019/01/10

الملخص:

ترتكز هذه الدراسة على تسليط الضوء على أسرة ابن الصيقل الأندلسية نزيلة تلمسان، والترجمة لأعلامها الثلاثة: أحمد ابن سلمة، محمد ابن الصيقل، ويحيى ابن الصيقل، إضافة إلى الإشارة إلى الدوافع التي كانت وراء هجرة الأندلسيين من بلادهم والظروف التي جعلت تلمسان وجهة لهم.

الكلمات الدالة:

تلمسان، الأندلس، الهجرة، ابن الصيقل

Abstract:

This study is based on highlighting the andalusian family of Ibn-al Sokayl, which emigrated to Tlemcen, and the definition of its three celebrities: Ahmad Ibn Salamah, Muhammad Ibn al-Sokayl and Yahya Ibn al-Sokayl. In addition to the motives behind the migration of Andalusians from their country and the conditions that made Tlemcen their destination.

Key Words:

(*) المؤلف المرسل: بن داود حفيظة Hafida.bendaoud92@gmail.com



Tlemcen, Andalus, Migration, Ibn-Al Sokayl

كانت الأندلس بلاد حضارة وتقدّم في القرون الوسطى وتجلّى ذلك من خلال التراجم العديدة لأعلامها المنحدرين من مختلف المدن الأندلسية، والذين أثبتوا نبوغهم في جميع الميادين والعلوم حتى أضحت الأندلس مقصدا لطلبة العلم الذين جاءوها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي وقد أشاد بها وبحضارتها جميع من نزل بها أو قرأ عن روائها خصوصا المنصفين من المستشرقين الذين أولوا عناية كبيرة بدراسة التراث الأندلسي من مخطوطات وكتب وغيرها.

اختلفت الظروف التي أدت إلى سقوط المدن الأندلسية في يد النصارى ولكن أبرزها هو عزم الإسبان على عملية الاسترداد التي دفع الملوك الإسبان الغالي والنفيس في سبيل تحقيقها خصوصا أنها لاقت قبولا وتأيدا من السلطات الدينية المتمثلة في الكنيسة والباباوات مما أعطى للحروب والمعارك الدائرة صبغة دينية صليبية.

تزامنت هذه الحروب مع ضعف الدولة الموحدية التي فقدت الكثير من محاربيها وقاداتها الأفاضل خاصة بعدما هزيمة معركة العقاب التي كان الفيصل في تاريخ الأندلس السياسي لاسيما وأن الكفة كانت راجحة للمسلمين في بداية المعركة نظرا لتفوقهم في العدد والعدة.

يضاف إلى ذلك تناحر المسلمين فيما بينهم الذي نلتمسه واضحا في علاقات حكام الأقاليم الأندلسية منذ عهد الطوائف والذي ما فتئ يزداد حدة وسوءا حتى أصبح المسلمون يستعينون بالنصارى والمسيحيين ضد اخوانهم دون مراعاة لما يربطهم من روابط دينية وأخوية. اضطر عدد كبير من الأندلسيين إلى الهجرة خارج العدو الأندلس باتجاه بلاد المغرب الذي شكّل المغرب الأوسط جزءا منه، ولقد حظيت تلمسان بنسبة لا بأس بها من هؤلاء المهاجرين الذين سرعانما تأقلموا وانسجموا داخل المجتمع التلمساني سواء في الفترة الموحدية أو الزيانية بل إن أعدادهم قاربت أعداد السكان المحليين وانتشروا في تلمسان المدينة كما في أحوازها وبواديها.

اختلفت الخلفيات التي ينتمي إليها هؤلاء المهاجرون فقد استقبلت تلمسان التجار والحرفيين والعامة الذين ساهموا في إثراء الجانب الفني والعمراني للمدينة خصوصا أن للأندلسيين طابع عمراني خاص لا يشبه الطابع المحلي، لكن اشتهر منهم على الخصوص المنشغلون بالعلم والأدباء



والفقهاء والمحدثون وطلبة العلم ، وفي هذا الإطار ارتأينا تسليط الضوء على أسرة ابن الصيقل لمعرفة أعلامها ومشاهيرها ووظائفها ومدى تأثيرها في المجتمع التلمساني.

1- سقوط المدن الأندلسية سبب من أسباب الهجرة:

كان سقوط المدن الأندلسية الذي أعقب حركة الاسترداد السبب الأكبر في تزايد حركة الهجرة إلى المغرب وذلك راجع إلى الضعف المستشري في الدولة الموحدية خاصة عقب هزيمة المسلمين في معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م¹.

توالى سقوط المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، حيث سقطت لاردة سنة 544هـ على يد حملة صليبية مكونة من جنود قطلونية وأراغون وجنوة تحت قيادة رامون بنجير الرابع²، ثم شهدت سنة 621هـ سقوط مدن عدة مثل: طركونة، سرقسطة، قلعة أيوب وغيرها³، ولكن الفاجعة الكبرى للمسلمين في الأندلس هو سقوط إشبيلية سنة 646هـ⁴.

سقطت بلنسية المدينة التي قديم منها أحمد ابن الصيقل فقد كان سقوطها سنة 636هـ⁵. وقد نظم ابن الأبار البلنسي قصيدته السينية الشهيرة التي أنشدها في حضرة السلطان أبو زكريا ابن أبي حفص يستنجد به:

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ حَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُسَا إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنَاجَاتِهَا دُرْسَا
وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا التَّمَسْتُ فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ
مُلْتَمَسَا

يَا لِلْجَزِيرَةِ أَضْحَى أَهْلُهَا جَزْرًا لِلْحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسَا
وَفِي بَلَنْسِيَّةٍ مِنْهَا وَقَرْطَبَةٌ مَا يَنْسِفُ النَّفْسُ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا⁶

وقول شاعر آخر:

نَادَتْكَ أَنْدَلُسُ فَلَبَّ نِدَاءَهَا وَاجْعَلْ طَوَاعِيَتِ الصَّلِيبِ فِدَاءَهَا
تِلْكَ الْجَزِيرَةُ لَا بَقَاءَ لَهَا إِذَا لَمْ يَضْمَنْ الْفَتْحُ الْقَرِيبُ بَقَاءَهَا
إِيَّاهُ بَلَنْسِيَّةٌ وَفِي ذِكْرَاكَ مَا يَمْرِي الشُّؤُونُ دِمَاءَهَا لَا مَاءَهَا⁷

2-حاضرة تلمسان وجهة الأندلسيين:



انتقل أحمد ابن الصيقل إلى تلمسان قبل سقوط بلنسية بحوالي نصف قرن أي سنة 586هـ وهي الفترة التي كانت فيها تلمسان تحت الحكم الموحي وتحتيداً في أيام أبو ربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن المعين من الخليفة آنذاك أبو يوسف يعقوب المنصور⁸، برزت تلمسان في العهد الموحي كواحدة من أبرز الحواضر العلمية التي يقصدها الطلبة من أبناء الخلفاء مُنَافِسةً كبرى المدن على غرار فاس وقرطبة⁹.

استمرت الحركة الفكرية والعلمية بتلمسان في العهد الزياني بل ازدادت نشاطاً حتى أضحت تلمسان مقصداً للطلبة والعلماء على حد سواء، وذلك راجع إلى كونها صارت "مقر السلطة المركزية في المغرب الأوسط" وهذا ما أدى حتماً إلى توفير مقومات التقدم الثقافي التي تشمل بناء المؤسسات التعليمية واستجلاب العلماء والأدباء خاصة من العدو الأندلسية¹⁰.

اهتم السلاطين الزيانيين بالجانب العلمي والثقافي لتلمسان فقاموا ببناء المدارس وتعيين المدرسين، ولكن الدور الذي قام به أبو حمو موسى الثاني كان الأبرز لكونه ذو شخصية مولعة بالعلم والأدب إذ أنه نافس كبار الشعراء والأدباء وأجازهم وتفوق عليهم كما أنه كان ذا بصيرة بالعلوم السياسية، الأمر الذي جعله يؤلف كتابه الشهير "واسطة السلوك في سياسة الملوك"¹¹.

لعبت العلاقات السياسية الودية بين الأندلس وتلمسان دوراً محورياً في توافد الجالية الأندلسية إلى تلمسان خاصة في العهد الزياني حيث نال الأندلسيون حظوة كبيرة، وفي هذا الصدد فقد عمل السلطان يغمراسن بن زيان على استجلابهم والتكفل بهم ومنحهم أعلى المراتب إضافة إلى إسناد وظائف سلطانية إليهم¹².

-3أعلام عائلة ابن الصيقل:

أ-أحمد بن سلمة:

هو أحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف الأنصاري المكنى أبو العباس وأبو جعفر ويعرف بابن الصيقل¹³ ويبدو أن اسم شهرته هذا عائد إلى وظيفته فالصيقل في اللغة هو شحاذ السيوف وجَلَّأها¹⁴، وهي مهنة من ضمن المهن المعروفة في الحضارة الإسلامية، فالنبي صلى الله عليه وسلم استخدم مرزوق الصيقل ليصقل له سيفه¹⁵.



تعود أصول أحمد ابن الصيقل إلى لورقة¹⁶ لكنّه نشأ ببلنسية¹⁶ وبها أخذ الحديث والعلوم الأخرى عن مجموعة من فطاحل علماء الأندلس والحواضر الأخرى من أمثال: أبي إسحاق بن خلف بن فرقد، أبي إسحاق بن قرقول الحمزي، ابن خير، ابن الفخار، ابن بشكوال، ابن حبيش، أبو محمد الحجري، وأبو الوليد بن الدباغ¹⁷.

هاجر ابن الصيقل إلى تلمسان في زمن الموحدين، ويُرجّح الباحثون أن رحلته كانت قبل سقوط بلنسية سنة 636هـ¹⁸، وبعد نزوله تلمسان اشتغل بالتدريس ورواية الحديث حيث تتلمذ على يديه طلبة كثر منهم: أبو إسحاق ابن علي بن أبي خزن، ابن عبد الله بن الصفار، أبو جعفر بن محمد بن الطيسان، أبو الحسن بن محمد بن القطان، أبو زكريا ابن ابي يحيى، أبو بكر ابن عصفور بن عبد الله العبدري، وأبو عيسى محمد بن محمد بن ابي السداد¹⁹.
أثنى عليه معاصروه ومعارفه إذ يقول ابن الآبار: "كان من أهل العناية الكاملة بالحديث والمعرفة بصناعته والتقدم في الضبط والإتقان"²⁰، أما ابن عبد الملك فيقول في حقه: "كان محدثاً حافظاً كامل العناية بالحديث ومن أهل المعرفة به ضابطاً متقناً وافر الحظ من علم العربية" ويؤكد ذلك تلميذه ابن القطان حيث يقول: "عدل إمام في الحديث"²¹، ونظراً لتفوقه ونبوغه فقد أُستدعي من قبل أبو يوسف يعقوب المنصور بن أبي يعقوب إلى مراكش ليدرسه الحديث فلبّى الدعوة ثم قفل راجعاً إلى تلمسان سنة 585هـ ليكمل مسيرته العلمية إلى أن وافته المنية سنة 598هـ²².

ب-محمد بن سلمة:

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سلمة وهو تلميذ أبيه السالف الذكر، لكن المصادر التي بين أيدينا أهملت الحديث عنه باستثناء ابن عبد الملك الذي أورد ترجمة قصيرة عنه في كتابه الذيل والتكملة لا تغطي جميع جوانب حياته.

روى الحديث عن أبيه وعن أبي ذر بن أبي ركب الخشني الأندلسي دفين فاس الذي اشتهر بنبوغه في علم الحديث والسير والنحو والشعر²³، ويرجح أن محمد بن سلمة قد أخذ عنه العلم بتلمسان أثناء تواجده بها بعد عودته من رحلته المشرقية سنة 581هـ²⁴.

يصفه ابن عبد الملك فيقول: "سري الهمة نزيه النفس حسن الخلق والخلق" ونستطيع أن نستشف الوظائف التي تقلدها حين نكمل بقية الترجمة التي أوردها ابن عبد الملك إذ يقول: "كان



ففيها محدثاً كاتباً بارع الخط"²⁵، وهذا ما دفع بالباحثين إلى إدراجه ضمن كتاب الدولة الموحدية على تلمسان أيام الوالي الموحي أبو الحسن ابن أبي حفص²⁶ رغم كونه اشتغل بالتدريس بتلمسان إلا أننا لم نعثر على أسماء طلبته سوى تلميذه أبو عبد الله محمد بن حماد العجلاني الفاسي الذي "روى عنه واختص به وكتب عنه"²⁷ لم تحدد سنة وفاته إلا أنها كانت في إحدى سنوات المائة السادسة²⁸.

ج- يحيى ابن الصيقل:

من بين أعلام عائلة ابن الصيقل العالم المتصوف يحيى المكنى أبو زكريا بتلمسان الذي ينتمي إلى المتصوفة الذين اختاروا طريق الخلوة والانقطاع عن الناس واعتزلوا في الجبال والمقابر والمساجد غير مباليين بالمشاركة في الحياة الاجتماعية والفكرية رغم نبوغهم²⁹، وهو طريق تبناه متصوفة كثر على غرار كل من أبو الحسن عبيد الله بن يحيى الأزدي (ت691هـ) وأبو الحسن علي بن محمد الزواوي التتورغي ببجاية³⁰.

تجمع المصادر المترجمة ليحيى بن الصيقل على انعزاله وزهده حيث يقول ابن خلدون في حقه: "زاهد ورع متبتل في العبادة لا يكاد يفارق القبور والمساجد توحشا من الخلق"³¹، وهذا رغم تضلعه في العلوم الشرعية كالفقه والحديث³²، ورغم ما يروى عنه من كرامات صوفية إلا أنه لم يكن له أتباع ولا مريدون حتى أن أبناءه أنفسهم لم يسيروا على نهجه بل سارعوا إلى التقرب من السلطة الزيانية بتلمسان وحصلوا على وظائف سلطانية ولكن المصادر لم تذكر لنا أسماءهم ولا وظائفهم³³.

اختارت عائلة ابن الصيقل على غرار العديد من الأسر الأندلسية الهجرة إلى تلمسان بعدما أيقنت من تردي الأحوال في بلادها مقابل الإغراءات التي قُدمت لها في تلمسان، وسرعان ما ذاع صيت أفرادها فالمؤسس الأول للأسرة أحمد ابن الصيقل ساهم في تخريج طلبة كثر في علم الحديث والعربية فاستمر السند على يديه وعلى يد طلبته من بعده³⁴، وقد سار على نهجه ابنه محمد الذي أهملت المصادر ذكر سيرته ولكن يكفي أنها أشارت إلى نبوغه في العلوم الدينية، إضافة إلى المتصوف يحيى ابن الصيقل الذي اختار التصوف مذهباً لحياته فاعتزل الناس وزهد في المناصب السلطانية رغم كفاءته استجابةً لقناعته بمنهج الصوفي. على الرغم من كون عائلة



ابن الصيقل قليلة الأفراد مقارنة بعوائل أندلسية أخرى إلا أنه تمكنت من فرض وجودها بتلمسان وتسجيل اسمها ضمن أعلامها.

الهوامش:

- 1- أحمد العزاوي، رسائل موحدية، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2001، ج2، ص180.
- 2- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990، ق1، ص508.
- 3- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص264.
- 4- محمد عنان، المرجع السابق، ق2، ص ص424، 485.
- 5- ابن الآبار، الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1975، ج2، ص127.
- 6- أحمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، مج4، ص457.
- 7- نفسه، ص 479-480.
- 8- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة نابلس، 2004، ص51.
- 9- ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص179.
- 10- عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، معهد الثقافة الشعبية، تلمسان، ص39.
- 11- عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ج2، ص322.
- 12- خالد بلعربي، مساهمة الجالية الأندلسية في الحركة العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني، مجلة دراسات، ع1، ص164.
- 13- ابن الآبار القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراش، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج1، ص82.
- 14- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج11، ص380.
- 15- علي بن مسعود الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص439.



- 16- لورقة: إقليم من أقاليم تدمير من بلاد الأندلس. ينظر: ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص518.
- 17- بلنسية: كورة عظيمة بشرق الأندلس. ينظر: أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تح: إيميليو مولينا، خاشيننتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990، ص45.
- 18- ابن الأبار القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراش، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج1، ص82.
- 19- رفيق خليفي، البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9هـ، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2008، ص156.
- 20- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص82؛ ينظر: العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ج2، ص91.
- 21- نفسه، ج1، ص82.
- 22- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تح: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، ق1، ص126.
- 23- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص82.
- 24- ابن عبد الله، المصدر السابق، ق8، ص261؛ ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج7، ص249.
- 25- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص158.
- 26- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ق8، ص261.
- 27- رفيق خليفي، المرجع السابق، ص159.
- 28- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ق8، ص298.
- 29- نفسه.
- 30- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ / 12 و13م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، ص114.
- 31- أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص ص 107-125.
- 32- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بدير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903، مج1، ص51.



- 33- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص305.
- 34- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص51؛ رفيق خليفي، المرجع السابق، ص160.